

حول جدل في الجامعة

للأستاذ عبد الفتاح بدوي

- ٢ -

منذ نشرت مجلة « الرسالة » تقرير الأستاذ أحمد أمين بك عن [الفن القصصي في القرآن] ، والأستاذ محمد خلف الله يبعث بالمقال نحو المقال تارة يستجدي وتارة يستمدى ، وليس العلم تناصراً ولا استصراًحاً فليعلم أن الناس جميعاً علماءهم وفنائهم إن يغتوا عنه من الحق شيئاً ولا من وقع الحجة وأصابها مقتلته فتبلاً وليست شتأته أسانذته أو غير أسانذته ولا خوضه في مقاماتهم بالكلم الخبيث ما نتمه من صولة البرهان .

ولقد وجهنا إليه في مقالنا السابق تهمة أولى أنه يجهل المقررات المنطقية التي تجمع عليها المقول ؛ فهل هو مجيب عن هذه التهمة ؟

ووجهنا إليه في مقالنا السابق تهمة الكذب على الأستاذ الإمام محمد عبده أنه يجري في تفسيره على اعتبار أن ما في القرآن من قصص لا يدل على أحداث وقعت وأقنا البرهان على كذبه هذا بما نقلنا من نص عبارة النار .

واليوم نقول للأستاذ خلف الله أنه جهل فهم كلام الأستاذ محمد عبده في الفقرة التي نقلها في مقاله المنشور في ص ١٠٦٨ من مجلة « الرسالة » الغراء ، وأنه جهل المنهج الذي يدرس عليه القرآن الكريم .

يدرس القرآن الكريم على منهجين : الأول منهج [الباطنية] وهم فرقة من الملاحدة يعطون ألفاظ القرآن عن مدلولاتها ، ويظنكون بها سبيلاً تخيلية وهمية توصلنا بذلك إلى تعطيل الشريعة الغراء فهم يدعون للألفاظ أو للجمل مراداً عاماً لا يبنى على أسس علمية وهؤلاء كفار والجرى على طريقتهم كفر وجهالة . لأن مذهبهم هذا مجرد دعاوى لا تبنى على شيء من العلم . فهم يقولون مثلاً في تفسير قوله تعالى : [وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الرَّاكِعِينَ] استقيموا الله وطهروا أنفسكم بالأخلاق

الحسنة وكونوا خاضعين ، وليست هناك صلاة شرعية ولا زكاة شرعية ولا سجود ولا ركوع .

والمنهج الثاني : في دراسة القرآن الكريم منهج السلمين ، وهو منهج العلم والعقل الذي تقوم عليه نواحي الحياة كلها وائس خاصاً بالقرآن الكريم وحده ؛ ذلك أن الكلام يجب أن يكون لألفاظه مدلولات حقيقية تنصرف إليها تلك الألفاظ ولا يعدل عنها إلا إذا وجدت قرينة تمنع من إرادة تلك المدلولات الحقيقية فأما ترك تلك المدلولات الحقيقية مع عدم وجود تلك القرينة التي تمنع من إرادة الحقيقة فأما هو في غير القرآن خبل وجهالة وإذا ادعى شيء من ذلك في مقام القرآن الكريم فهو خبل وجهالة وزندقة يخرج بها صاحبها عن عداد السلمين لأنها تعطيل لكلام الله تعالى الذي أنزل لهداية البشر أجمعين .

ومن السلمين من يقف في تفسير القرآن الكريم عند هذا الحد لا يتعداه ؛ بل يحمل الكلام على الحقيقة ما أمكن ذلك ثم على المجاز الذي تدل عليه القرينة عند وجودها ، ولا يقولون إن القرآن يشير من وراء هذه الحقيقة أو هذا المجاز إلى شيء من باب الإشارة والإيماء لأن هذه الإشارة وهذا الإيماء لا تدل الألفاظ عليه .

ويقول الصوفيون من السلمين إن في القرآن إشارات وإيماء من وراء تلك الدلائل الحقيقية ، وهذه الدلائل الإشارية الإيمائية ملحوظة عند هؤلاء الصوفيين مرعية لديهم حق رعايتها . فذهب الصوفية يخالف مذهب الباطنية كل المخالفة لأن الباطنية يعطون الألفاظ عن مدلولاتها . فهم لا يعتبرون آدم شخصاً ولا الملائكة موجودات ، ولا الجنة شيئاً ، ولا إبليس حقيقة ؛ إنما يقولون في ذلك كله ما يقول الأستاذ خلف الله إن القرآن في ذلك لم يتثبت بالواقع ، أما الصوفية فيقولون بأن كل هذه الألفاظ لها مدلولاتها الحقيقية ثم يشير مجموع القصة إلى أمور أخر كالتي ذكرها الأستاذ الإمام في قوله : وتقرير التثليل في القصة على هذا المذهب هكذا : « إن إخبار الله الملائكة بجمل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهية الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه إلى آخر ما قل . فحال أن يكون الإمام قد قصد إلى تعطيل الألفاظ والذهاب بمذهب الباطنية .

إقناع منكري اللائكة بوجودهم . وكان مساق هذا الكلام كله بمد عبارة طويلة نقلها من كلام الغزالي في الإحياء . فهو إذن بيان لمذهب الصوفيين .

فن الافتيات على الأستاذ محمد عبده افتياتاً جريئاً فيه عدم الاستحياء من الحق ما قاله الأستاذ محمد خلف الله عن الإمام محمد عبده إذ ينسب إليه أنه يرى أن القصص القرآني لا يلتزم الواقع أو أنه جرى مع أحد هذا الجري وذهب معه هذا المذهب الذي يدعيه .

ولقد حاولت أن أتمس للأستاذ خلف الله ببعض المآذير ، ولو أوهاما في التورط فيما تورط فيه فتمنى سلوكه ، وحالت بيني وبين ذلك خلانقه ؛ ذلك أنني وجدته مدلساً في النقل خاتماً للأمانة العلمية فهو يكذب في النقل أو يتر النقول ولا يتعمه بل يخفي منه ما يبين المراد عمومها للحقيقة وإلباساً على الناس .

لقد قال في ص ١١٢٢ من مجلة « الرسالة » الغراء : ويؤكد الرازي هذا الأمر في مناسبات أخرى حين يجعل أحياناً كلمة « بالحق » التي ترد كثيراً في القرآن بمد القصص وصفاً لما في القصة من توجيهات دينية فهو مثلاً يقول عند تفسيره لقوله تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » ما يأتي : (أما الحق فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والمدل والنبوة) .

وإني ناقل عبارة الفخر الرازي بنصها شاهداً على تدليس الأستاذ محمد خلف الله فيما ينقل من عبارات العلماء قال الفخر قوله تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) اعلم أنه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية نوعين من الفائدة أولها تثبيت الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى ، وذلك أن الإنسان إذا ابتلى بعننة وبليية ، فإذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة إذا عمت خفت ، فإذا سمع الرسول هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء صلوات الله عليهم مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه . والفائدة الثانية قوله : وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين . وفي قوله (في هذه) وجوه

وإني ناقل هنا عبارة الأستاذ الألوسي إذ تشرح هذا النهج وزي الأستاذ خلف الله أنه كان على جهل حين زعم أن من المسلمين من يرى أن القصص القرآني لا يتصل بالواقع وكان على خطأ لم يفهم به كلام الأستاذ محمد عبده ؛ قال الألوسي : وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، وذلك من كمال الإيمان ومحض المرقان لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نقي الشريعة بالكلمة ، وحاشا سادتنا من ذلك ؛ كيف ومد حصوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا : لا بد منه أولاً إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل أحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب . والألوسي في تفسيره يهجم هذا النهج أبداً فهو يفسر الأسلوب القرآني على حقائقه اللغوية فإن قامت قرينة على غير الحقائق انصرف إلى الجواز الذي تدل عليه اللفظة ؛ ثم يقب على ذلك كله بتفسير الصوفية فيقول : ومن باب الإشارة ... ويذكر الإشارات الصوفية في ذلك المقام .

والأستاذ محمد عبده يهجم هذا النهج نفسه ، واختار لنفسه في التشابه منهج السلف والأخذ برأى الخلف فيه عند الإمكان وعند الداعية إليه في فهم الكلام ثم يذكر مذهب الصوفية وهم من الخلف ويقرر مذهبهم الإشاري كذلك ويصرح في كثير من كلامه بكلمة الإشارة وبكلمة الإيماء ؛ قال في ص ٢٦٩ من الجزء الأول من المنار . فإذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون [الإشارة] في الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحية التي بها قوامها ونظامها ؛ وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتمدى ما حدده من الأثر الذي خص به خلق بمد ذلك الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى ...

وقال صاحب المنار في تلك الصفحة نفسها : « وأقول إن فرض الأستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالإيماء وبالإشارة

لا يتشبه بالواقع وإذن فلا بد له من التدليس في النقل ليتوهم القارىء أن للكلام الذى يقوله الأستاذ خلف الله أصلاً في كلام السابقين صارت الصفات التى يتمتع بها الأستاذ خاف الله في مقالته في الرسالة ثلاث صفات الجهل والكذب والخيانة .

وإذا كان للكانون عند العرب ثلاث أئافى فإن كانون الأستاذ خلف الله له أربع أئافى تلك الثلاث التى مضت وسنرميه بالرابعة .

ولقد كان يمكننا أن نرميه بها بآدىء ذى بدء بمد أن حصلنا على ما حصلنا عليه ولكننا آآرنا أن تقدم بين بدى ذلك جهله وكذبه وخيائته ، ثم نقيم عليه الحججة والدعوى معاً لقد وقعت الرسالة في أيدينا وقرأناها كما قرأها سوانا ولكم الويل مما تصفون . لكم الويل فانتظروه في الأعداد القوادم وفي ساحات القضاء .

عبد الفتاح بروى
كأية التمة العربية

بأدر بأقتناء نسختك

قبل نفاذها من كتاب

في العلم لله رب

مخاضرت بمقالاتى فى الأديب العربى

للاستاذ أحمد حسن الزيات

بطلب من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

وتمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

أحدها في هذه السورة . وثانيها في هذه الآية . وثالثها في هذه الدنيا ، وهذا بعيد غير لائق بهذا الوضع ، وأعلم أنه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمعنى الحق فيها أن يكون حال سائر السور بخلاف ذلك لاحتمال أن يكون الحق المذكور في هذه السورة أكل حالاً مما ذكر في سائر السور ، ولو لم يكن فيها إلا قوله تعالى فاستقم كما أمرت لكان الأمر كما ذكرنا ، ثم إنه تعالى بين أنه جاء في هذه السورة أمور ثلاثة : الحق والوعظة والذكرى .

أما الحق ، فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والمدل والنبوة ؛ وأما الذكرى فهي إشارة إلى الإرشاد إلى الأعمال الباقية الصالحة ؛ وأما الوعظة فهي إشارة إلى التنفير عن الدنيا ... اهـ .

فالفخر الرازى ليس فيه شيء مطلقاً لا من قريب ولا من بعيد مما نسبته إليه الأستاذ محمد خلف الله فرية واختلاقاً ، فالفخر يجعل اسم الإشارة راجعاً إلى السورة ، يعنى سورة هود ، ويجعل الحق الذى فيها هو الدلائل الدالة على التوحيد ، ولعل عند الأستاذ خلف الله ، أو الذى كان يشرف معه على رسالته نسخة خطية خاصة من كتاب الفخر الرازى عملت لها فقط وخط لها فيها ما يشاء ان ؟ ما هذا يا أستاذ ؟ وما هذه الخيانة في العلم ؟ !

ومثال البتر في النقل ما قاله الأستاذ خلف الله في نفس الصفحة إذ نقل قول الفخر الرازى عند تفسير قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) الأول أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس في هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى منافية لها)

والفخر الرازى قال ذلك ولكنه أتم كلامه فقال في شرح تلك الأمور « فأولها بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم . وثانيها أنها تدل على العبرة .. وثالثها أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تميمير مع أنه لم يتعلم ولم يتعلم ذلك على أنه بوحى من الله .. الخ

فكلام الرازى صريح في أن القرآن لا يذكر القصة لأنه كتاب تاريخ بل يذكرها لما في ذكرها من الفوائد التى ذكرها وكلام الفخر الرازى صريح في أن القرآن لم يحرف في القصص ولم يغير وكان ذلك دليلاً على أنه بوحى من الله .

أما دعوى الأستاذ خلف الله فعلى أن القصص القرآنى